

استنكار شديد

ماذا استفاد الخاطفون المجرمون من قتل الدبلوماسيين الجزائريين غدرا من مكاسب عظيمة لأهل الرافدين؟!!

بقلم

أبي عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي الجزائري

الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، ويوجب مزيده، ويجير من سخطه، ويثبت الفؤاد على قضاءه وقدره، وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ورسول رب العالمين، صلاة زاكية تؤدي حقه، وتزلفه عند ربه.

أما بعد:

لقد ملك الجزائريون أنفسهم حين نُمي إليهم نبأ خطف ابنين من أبنائهم كانا يعملان بالقنصلية الجزائرية بالعراق، ويمدان يد المساعدة لأهل الرافدين، ويضمدان جراحهم بالكلمة الطيبة، ويزرعان الأمل لمستقبل أفضل، يسوده الأمن والطمأنينة، والحكم الراشد في جميع فصوله. إنهما موظفان محدودا المسؤولية، ليس لهما في ما يحدث في العراق الجريح ناقة ولا جمل، ومع مرارة الموقف، وصعوبته على النفس إلا أن الجزائريين قمعوا غضبهم، وأعملوا الرأي الحكيم فيما يصلح حال المخطوفين، ولم ينبسوا بما يعطي للخاطفين مبررا لوأدهما، أو إطالة حبسهما بالباطل، بل تحلوا بحكمة عالية من غير غلق ولا ضجر، مع شيء من المداجاة، ليدرءوا عن أمتهم أسوأ النتائج، وكان الأمل يحدو أهل الجزائر الأبرار أن يتذكر الخاطفون ومن معهم من أوشاب الناس قوله تعالى إن كانوا يحفظون القرآن ((قل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان))، فينصرف المخطوفان الجزائريان موفورين، لم يكلم أحد منهما كلفا، ولكن صدق من قال: الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا أُلطف. لقد كان موقف عروة بن مسعود الثقفي وهو على كفره زمن صلح الحديبية أنبل منزلة، وأرقى موقفا في حفظه للمعروف، والمكافأة به من حال ثوار العراق المارقين عن السنة وأصول الدين، حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا، فأجابه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم: (امصص بظر اللات، ونحن ننكشف عنه؟) فقال عروة: من هذا يا محمد؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا ابن أبي

قحافة)، قال: (أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها).

إن لأهل الجزائر أوصالا كريمة مع أهل العراق، لا ينبغي أن تنسى أو أن يطويها الدخلاء على أرض الرافدين باسم الدين، والجهاد المقدس، أولا يذكر أهل العراق التي نشبت بينهم وبين الإيرانيين، بنفخ من وزغان من أهل المطامح السياسية تحت مظلة الذهب الأسود، حرب صاحبة أتت على أخضرهم ويابسهم، ومزقت أحشاهم، واستترفت خيراتهم في جوّ من العتومة والغموض، ومع هذا الهرج الذي عربد من تحت أقدام العراقيين فإن أهل الجزائر؛ حكّاما وعُلماء كانوا يدركون أن ما يحدث في أرض بابل هو تمهيد لما هو أشرّ وأخنع، فلهذا سارعوا لإخماد لهيب نار الحرب بجنكتهم السياسية، والتي يعدم لها النظرير، وتم الصلح في أرض الأحرار، ولكن بعد ماذا؟

لقد دفع الجزائريون ضريبة غالية لإعادة السلم للمنطقة، ذهب ضحيتها رجل من أذكى السياسيين في العالم؛ وهو: محمد الصديق بن يحيى رحمه الله، الذي طالت إليه يد الغدر، حيث أُسقطت طائرته بصاروخ غرب طائش زعموا!!

وهاهي الجزائر مرة أخرى تروي قضياها النبيلة بدم أبنائها الأبرار، فبعد جهود حثيثة، وشفاعات عالية من جهات شتى قُدمت للخاطفين، عسى أن يكون لهم عقل فيطلقوا صراح أبناء الجزائر، فما كان من الخاطفين الأشرار إلا أن ضربوا بها عرض الحائط، واتخذوها وراءهم ظهريًا، ثم بعد ذلك امتدت أيديهم اللقيمة، وأزهقت روح رجلين من غير ذنب ارتكباها، أو جرم جرهم إليه صنيعهم.

بأي حق قتلا؟ وبأي نصّ من شريعة ربّ الأرض والسما غدر بهما؟

لقد امتلأ جوّني غيظا وأن أسمع نبأ اغتيالهما غدرا.

وأقول للخارجين عن الشريعة الغراء وكلّ عُرف معروف: يا أشباه الرجال، ويا طغام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال، والله لقد أفسدتم دين محمد صلى الله عليه وسلم أشدّ من صنع الزنادقة عبر التاريخ، وشوهتم منهج المحدثين الذي كان عليه الإمام مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد، وصيرتموه إلى دين يُنال منه في الصباح والمساء، فما أشدّ وطأتكم على أهل الإيمان، وما أرحم لمستكم على أهل الأوثان، والله المستعان.

لقد جاوز يا أهل الرافدين الماء الزبي، وبلغ الحزام الطّيبين، ونحن نرى أبنائنا يختلسون من بين أيديكم، ويقتلون غيلة، ونرى كلاب النار والخارجين عن شريعة الله يعثون في عقر دياركم فسادا، فهلا انتفضتم يا أهل الرافدين في أوجه المفسدين الذين يسعون لبتركم عن كل مליح، وتشويه سمعتكم في كل محفل فسيح، وقد دعوتكم إلى دحض هؤلاء المفسدين، وأقول لكم: اغزوهم من قبل أن يغزوكم، وأخرجوهم من دياركم قبل أن يخرجوكم، والذي نفس عبد الحميد بيده، لضررهم على العراق أشدّ من ضرر الأمريكان، والله إننا ونحن أهل الحديث، وقُل إن شئت: السلفيون حقيقة لا زورا عازمون

على حرب الخوارج ولو حال بيننا وبينهم جمر الغضى وشوك القتاد .
واعلموا يا أهل العراق أن من ترك مقارعة الباطل رغبة عنه ألبسه الله الذل، وسيما الخسف، ودُيِّث
بالصغار، وصار أضحوكة عند العقلاء، فلا تتوانوا في ابتغاء القوم، وارصدوهم واقتلوهم، فإنهم شرّ
قتيل تحت أديم السماء، طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه.

خوارج عن الحق يقتلون الأبرياء بحجج واهية، أبو مرة اللعين يتزف عن استعمالها لإضلال الناس،
كقول الخاطفين وأنصارهم من جمر الفتن، عاملهم الله بما يستحقون إن الله قال: ((ومن يتولهم منكم
فإنه منهم))، قالوا وبيس ما قالوا: إن وجود السفارات الإسلامية بأرض الرافدين دليل على شرعية
الاحتلال الأمريكي للعراق.

يا عجباً كل العجب من هذا الفهم المنحط والأهوك، الذي لا يخطر على عقل رابك.
تأويلٌ خاطئٌ للآية، ومموه بزخرف من القول، ومكسوٌ حلة الفصاحة، والعبارة الرشيقة، حتى تسرع
العقول الضعيفة، والبعيدة عن الهدى إلى قبوله واستحسانه، قال تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً
شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون)).

قال ابن قيّم رحمه الله في مختصر الصواعق: (وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من
العبارات المستحسنة ما يسرع إلى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة؛ فيسمون أم الخبائث أم الأفراح،
ويسمون اللقمة الملعونة التي هي الحشيشة: لقمة الذكر والفكر، التي تثير الغرام الساكن على أشرف
الأماكن...).

قلت: ويسمون العلاقات الدولية المبنية على المصالح، وجلب النفع للمسلمين في باب الاقتصاد،
والشؤون السياسية من غير حب ولا مودة، بموالة للكفار، والتي يستحق القائمون بها الوأد والشنق،
وهكذا بهذه الشبهة أزهبوا رוחي الجزائريين، وقبلهما روح مصري مسكين .
أخرج أبو يعلى في مسنده بسنده إلى عائشة أم المؤمنين، أنها قالت: (وجدتُ في قائم سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتاباً: (إنّ من أشدّ الناس عتوا من ضرب غير ضاربه، ورجل قتل غير قاتله،
ورجل تولى غير أهل نعمته، فمن فعل ذلك فقد كفر بالله ورسوله، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً)،
وفي الآخر: (المؤمنون تكافأ دماؤهم وأموالهم، يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو
عهد في عهده، ولا يتوارث أهل ملتين....).

قلت: وإسناده حسن بشواهده.

يا دعاة تحرير أرض الرافدين، وأرض الحرمين، والمشرقين والمغربيين زعموا!: هل قام الدبلوماسيون
الجزائريون بقتالكم، وهل حرّضوا العدو على إبادتكم، وهل وجود الأمريكان بدياركم يمنع شرعا

الوجود الرسمي للشعب الجزائري بأرض الرافدين؟ وهل كان وجود الدبلوماسية الجزائرية بإيعاز من البيت الأبيض؟ وهل سلم القائم بالأعمال الجزائري أوراق اعتماده للبتاقون؟ ما أجهلكم، وما أغباكم!!، ولقد صدق وزير الخارجية الجزائري السيد بجاوي حين قال: لقد قلبت أفعال الخاطفين ليلا ونهار لأجد مبررا لفعالهم فلم أهتد إلى ذلك سبيلا.

نعم؛ أعمال وحشية بربرية، لا تخدم أي قضية على وجه الأرض نهيك أن تخدم القضية العراقية، بل تزيدها خبالا، ويزداد المجرمون سقوطا من أعين الناس.

أما وقف الخاطفون على أثر عبد الله ابن مسعود الذي حسن إسناده علامة الشام لمجيئه من طرق عديدة: ((ادروا القتل والحد عن المسلمين ما استطعتم))؟!.

ولقد بوب الإمام الحافظ ابن المنذر النيسابوري (م:318) في كتابه الإشراف على مذاهب أهل العلم (40/2): باب: ذكر درء الحد عن الجاهل الذي لا علم له، (قال أبو بكر [أي ابن المنذر]: ثبت أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قالا: لا حد إلا على من علمه.

وبهذا قال عوام أهل العلم. وقال عبد الله بن مسعود: ((ادروا القتل عن عباد الله ما استطعتم)) وروينا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ادروا الحدود ما استطعتم في كل شبهة.

قال أبو بكر [ابن المنذر]: [وكل من نحفظ عنه من أهل العلم يرى أن يدرأ الحد في الشبهة] اهـ أقول والله الموفق للحق: أطلعوني يا دعاة الجهاد بالباطل على فتاوى لكبار العلماء يدرج القائمين بالأعمال لدولهم الإسلام في أرض الرافدين في زمرة أعوان للاحتلال؟

قضية لم يفصل فيها أفذاذ أهل العلم؛ يتخذوها دعاة الشبه دليلا قطعيا لزهق أرواح الأبرياء.

ألم يشترط العلماء العلم قبل العمل في إقامة الحدود، ومن أين لكم أن تقفوا على أقوال أهل العلم وأنتم غارقون في يمّ الشبهات والأوهام، ومكبلون بفكر الخيال.

والعجيب والأنكى، وكارثة الكوارث حينما يثبت كون أرباب الإرهاب والفساد المرتدين لباس الدين، والمتزيين زيي المسلمين يظهرون القبائح المخزية الصادرة من فوهتهم للأمة والعامة على صورة الجهاد الشريف الذي يحقق العزة والكرامة للأمة! ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

مع أن الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح والعقل السليم يكذبون دعوتهم ويعدونها أم الفساد وذروة العناد.

إن الإسلام الحق يا مسلمون ويا عقلاء العالم بريء من ذلك كله، فنصوصه الشرعية ومقاصده وآدابه المرعية، جاءت بتحريم قتل الأنفس المعصومة، وإزهاق الأرواح الآمنة بالشبه، وتدمير الممتلكات، والاعتداء على الأموال والحقوق، والسعي في الأرض بالفساد، واغتيال الأبرياء بشبهة إحياء السنن

المهجورة! قال الله تعالى محذرا من هذه الفعال الشنيعة ((وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد))، وقد حرّم الإسلام الحنيف الظلم وعده من الكبائر، وأمر بالقسط والعدل حتى مع العدو المشاحن، ((يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله)) ونهى بنصوصه النيرة عن سلوك العنف والفظاظة في غير باهما فقال تعالى: ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)) ، وقال نبي الرحمة ﷺ كما في صحيح مسلم: «من يجرم الرفق يجرم الخير كله»، وقال أيضا: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه، ولا نزع من شيء إلا زانه.»

ولقد أخذنا عن علمائنا الأكابر ونحن جاثين بالركب في حلقتهم النافعة؛ أن الجهاد الصحيح يثمر العزة والرفعة والكرامة للأمة، إذا أقيم على أصوله وبضوابطه الشرعية، وكانوا يقولون لنا ولا يزالون: تصفحوا كتب السير والتواريخ تجدون صدق أخبارنا، من ثمار يانعة للجهاد الصحيح في نشر الإسلام، وتوسع لرقعته، وعزة لأهله، ونماء لاقتصاده، وتفشٍ للأمن والأمان على ظهر كل معمورة حلّ فيها، وأما ما يفعله حُذثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، وروبيضة آخر الزمان في هذا الأيام فما نجم عنه إلا الهوان والذل للمسلمين، والفرقة والضعف في صفوف الأمة، والضعف والشتات، والجهل والفقر المدقع، والجريمة المنظمة، وأما والعياذ بالله إن أدعى هذا الغادر الخوان انتماءه إلى السلفية زورا، وحصرها في مربع القتال، وقال عنها سلفية جهادية حجرا وتضييقا، بل تدليسا وتزويرا، فقد زاد إلى جرمه جرما آخر أبشع وأشنع، وأوضع وأفضع، لا أشنع منه دينا وعقلا وعرفا، يبكي له الإسلام بملء جفونه، والله المستعان؛ وهو تشويبه لدين الله المنان بالكذب، والدعاوى الباطلة والبهتان، والزجّ به في قفص الاتهام، والتعريض لأتباعه الأبرياء المخلصين لدينهم ووطنهم للمساءلة والإذلال، فيجب أن تغلظ في حق هذا الغادر العقوبة زجرا له ولأمثاله من سفهاء الأحلام، وهكذا لتكن غيرة الإسلام وحمية أهله التي لا تضام.

الله أسأل أن يحفظ لنا ديننا من شبه الخوارج وأذنانهم، وأن يعصم أبناءنا من أفكارهم، وأن يفرغ على الأوطان الإسلامية صبورا لمقارعة الخوارج، إنه ولي ذلك والقادر عليه

**وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي
الجزائري**